

فصل من كتاب:
التاريخ لا يفيد (6)

الخروج الأيوبي من مصر

الأيوبيون دخلوا مصر على ظهر الخيل
وطردوا منها على ظهر 3000 حمار.

- علماء مصر (عرائس من ورق في يد من حَكَم): ودعاؤهم "اللهم
انصر من غَلَب".

- الإستعباد مستمر في مصر منذ عمرو بن العاص، إلى الخديوي
توفيق... إلخ .

(يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟؟) أنه
مبدأ الخليفة عمر "رضي الله عنه" الذي ألغاه دستور حكم يزيد
ومنع دخوله إلى مصر.

-سقطات علي الطريق-
الشورى اختيار إسلامي واحد
للسنة و الشيعة

بقلم:
مصطفى حامد

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

الإعصار المملوكي يكشف ضعف البنية التأسيسية

لنظام الخلافة

مازلنا نتابع منذ بداية هذه السلسلة موضوع رئيسي هو نظام الحكم في الإسلام وتأثيره على حياة الناس ومعتقداتهم .

لقد ظهر أن انحراف مؤسسة الحكم وهو الشئ الذي حدث مبكرا في تاريخ الدولة الإسلامية قد أثر على الدين نفسه حتى يتوافق مع مطالب الحكم الطاغوتي.

قال الرسول (صل الله عليه وسلم) تنتقض عرى الإسلام عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة .

وبسقوط عروة الحكم أخذت باقي عرى الإسلام بالانفراط وأصبح الدين يدور في فلك أهواء الحاكم الذي اغتصب صلاحيات النبوة والربوبية وظل ينفلت حتي وصل إلي درجة الجنون في انحرافات أخلاقية واعتقادية وركز الحاكم علي السلطة وما يثبتها من عقائد وقوانين بصرف النظر عن مصالح الأمة وعن الشرع وما جاء في القرآن والسنة. وسطع نجم علماء السلاطين وزادوا شهرة بمرور الزمن حتى أكتفى الناس بأقوالهم بما فيها من تزوير ومغالطات، واستبعدوا لأحكام القرآن والسنة عندما انكروا الحكام. حتى صار بين أيدي المسلمين دين جديد من صناعة الهرقلية الحاكمة وعلماء السوء المحاطون بالشهرة والتقدير.

لم تتح الفرصة حتى يتصل الناس مع الإسلام ويفهموه بطريقة طبيعية صحيحة وصار أهم مظاهر الإسلام في الإمبراطورية الأموية ثم العباسية هو (الفتوحات) التي اعتبرت مفخرة للحاكم سواء كان علي رأس الجيش قائداً أو كان يقف على رأسه في صالات اللهو داخل قصور الخلافة ثم يتولى مؤلفوا التاريخ الرسمي تعديل الصورة طبقاً لما يهوى السلطان من بطولات أو فعل خيرات ومآثر لم يرتكبها يوماً، من صلاة وحج وجهاد وإطعام الفقراء وبناء مشافي نموذجية.

توسعت الإمبراطورية الإسلامية وانخرطت الجيوش في جهاد لم يكن لنشر الدين أو حكم الناس بالشرعية بل لمجرد توسيع رقعة الحكم الطاغوتي وسلب الثروات لصالح الحاكم وقبيلته والعصابة المحيطة به.

من أكثر الشعوب التي عانت من انحرافات السلاطين كان الشعب المصري صاحب أقدم حضارة انضمت إلي العالم الإسلامي في ذلك الوقت طوعاً وبدون مقاومة من الشعب بل بكل ترحيب وسرور طمعاً في الأمن والعدالة التي حرم منها المصريون بواسطة الحكم البيزنطي.

طمع المصريون في عدالة الحكم الإسلامي ولكنهم لم يحصلوا عليها الا نادراً وكان فرحهم بها كبيراً وتقديرهم للحكام العادلين ودولتهم تقديراً عظيماً سبب لهم فيما بعد مشاكل كبيرة. اذ حُسيب على شعب مصر أنه موال في أعماقه للدولة العادلة التي لسوء حظه وحظها كانت هي الدولة الفاطمية الشيعية التي

جاءت من بلاد المغرب لتتمركز في مصر وتتخذ من القاهرة مقراً أبدياً فكانت مصر لا غيرها هي غاية المسير الفاطمي.

لهذا ربطت دولة الخلافة بين الشعب المصري والتشيع حتي صار ذلك عقيدة دينية لحكم الخلافة والسلاطين الذين حكموا مصر من أيوبيين ومماليك وصولاً إلي الطغاة العثمانية الذين أذلوا ونهبوا المصريين لستة قرون وجعلوا الخلافة عثمانية فزادوها انحرافاً وظلماً واقترباً من الصليبية الأوروبية.

لم تدخل العدالة إلي مصر بدخول الإسلام أو بتغير العائلات الأمبراطورية من أموي إلي عباسي أو عثماني مروراً بالأيوبي (الكردي) أو سلاطين المماليك (الأتراك).

في كل تغيير للسلطة في دولة المحتلة يعاد فتح مصر مرة أخرى وكأنهم اكتشفوها من جديد أو أن ماسبق من فتوحات للبلد الذي أوصى رسول الإسلام بأهله كانت فتوحات فاسدة وغير شرعية ويلزم تجديدها وإعادة تأسيس شرعية حديثة.

فالخليفة العباسي عندما أنتزع مصر من سلطنة آل طولون، عامل مصر كأنها دولة لم يسمع بها من قبل ولم يسمع سكانها عن الإسلام.

فأعاد فتحها من جديد فالفتح يعنى الإسراف في القتل والإحراق والتدمير ونهب الأموال بالمطلق واختطاف النساء والأطفال كعبيد وسبايا، وفرض ضرائب جديدة وجزية علي الشعب الذي "يتظاهر" بالإسلام حتي لا يدفع الضرائب، فيُرغمون الجميع على الدفع، وإلا فإن أمثال قراقوش والحجاج الثقفي، وابن مرجانة وزيد بن أبيه جاهزون "حرفياً" لعصر الممتنعين لاستخراج المال والأرواح من تآك الشعوب الخبيثة التي تشق عصا الطاعة على السلطان أو الخليفة.

الإستعباد مستمر في مصر منذ عمرو بن العاص، إلى الخديوي توفيق... إلخ

هكذا كان يظن سلاطين الإسلام في كل مرة يفتحون فيها مصر. فلم تدخل عدالة إلي مصر مع جيوش الإسلام وكلمة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعمرو بن العاص الذي فتح مصر بدعوة واتفاق مع قادة المسيحيين فيها وكثرت شكاوي المصريين من الظلم الذي يعانونه من حكم عمرو وطائفته فقال له عمر رضي الله عنه وهو يحاسبه ويقتص منه للمظلومين ويقول له كلمة تستحق أن توضع علي علم مصر وفوق مداخلها، قال عمر كلمته الشهيرة (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار؟؟) ما أروعها من كلمة تصلح شعاراً لمصر والمصريين.

أنه مبدأ عمر الذي ألغاه دستور حكم يزيد ومنع دخوله إلى مصر.

وقد قال مثلها الزعيم أحمد عرابي عندما قاد جيشه إلي قصر عابدين لمقابلة حاكم مصر الخديوي توفيق حفيد محمد علي باشا.

وبينما خديوي مصر توفيق يحتمي بالقنصل البريطاني وباقي القناصل الأوروبيين في مواجهة قائد جيشه أحمد عرابي سأله الخديوي "لماذا جئت بالجيش إلي هنا؟" فأجاب عرابي: جئنا لنعرض عليك مطالب الجيش والأمة. فرد عليه الخديوي: ليس لكم مطالب فما أنتم إلا عبيد إحساناتنا. فأجابه عرابي غاضباً: لسنا تراناً ولا متاعاً، والله الذي لا اله إلا هو لن نُورث أو نستعبد بعد اليوم.

للأسف لم يستطيع عرابي أن يبر بقسمه ولا أي زعيم آخر جاء بعده ، فما زالت مصر يحكمها أجنبي حتي حكمتها إسرائيل وتديرها بشكل مباشر كما كانت تدار المستعمرات قديما من خلف الأبواب المغلقة لسفارات ومكاتب غامضة ذات أسماء مضللة.

عندما وصل المماليك إلي حكم مصر زاد وضوحا بوصولهم عيوب انتقال وممارسة السلطة في الدولة الإسلامية كما أتضح الخلل الكبير في طريقة اختيار الحاكم الذي يفرض نفسه بالقوة والقهر وتأييد فقهاء المذاهب الأربعة الذين لا يجمعون علي شيء سوى تقديس ذات الحاكم طبقاً للشروط التي وضعها يزيد للدولة الهرقلية فهم عبيد الحاكم وهو غير ملزم بقرآن أو سنّة فقد ألزم نفسه بالانتقام من آل أحمد أي بيت الرسول (صلي الله عليه وسلم)، وأتباعهم الذين أطلقوا عليهم فيما بعد أسماء كثيرة أصبحت مخيفة وتندر بكل شر.

فمره هم رافضه وأخري باطنية وثالثه مبتدعة الي آخره .

حتي ظهرت في العصور الحديثة مصطلحات لتوسيع رقعة الإرهاب الفكري لأعداء أو لمعارض النظام الحاكم.

فتارة هم إخوان مسلمون وأخري تكفيريون وثالثة قوي الظلام ورابعة عملاء إيران.

العهد المملوكي وضع خطوطا حمراء وأبرز عيوب طريقة انتقال السلطة في الدولة الإسلامية و مواصفات الحاكم الذي لم يعد مطلوبا منه سوي قدرته علي القتل وخوض صراع حيواني للوصول إلي السلطة والبقاء فيها وتوريثها لسلالته إذا أمكن.

دخل المماليك إلي حكم مصر في إعصار من العنف والقتل والتصفيات للنظام السابق الأيوبي وضد بعضهم البعض في عملية انتخاب طبيعي للأقوى والأشد مكرراً وقسوة.

لهذا في موضوع (التاريخ لا يفيد، والمسيرة المملوكية) سنحاول تجميع أهم عمليات الاغتيال السياسي التي جرت في مصر المملوكية وكذلك بعض المعارك التي شكلوا بها تاريخ مصر والمنطقة وكانت بالفعل من ضمن الأشياء التي يمكن أن يفاخروا بها وتفخر بها مصر.

فلولا هم لضاعت المنطقة العربية وأصبحت ضمن ممتلكات أوروبا أو ممتلكات الإمبراطورية التترية العظمي.

ولولا الدمار الذي أحدثه الاحتلال العثماني لمصر علي يد السلطان سليم الدميم لسارت الأمور في مصر بشكل مختلف تماما في ظل حكم مملوكي متعاطف مع الشعب والأقرب إليه منذ زوال الدولة الفاطمية خاصة في حكم قائد عبقرى وشجاع ومحب لمصر ومتدين بديانة العدل والمساواة المصرية التي يتطابق مع الإسلام كما يفهمه البشر الأسوياء والمصريون بشكل خاص.

لا دين بدون عدالة ولا عدالة بدون شريعة ولا شريعة مع حكم مطلق متوارث بلا سند شرعي وبلا شعوري من الناس ورضاهم.

بدأ الحكم المملوكي بجريمة اغتيال آخر سلطان ايوبى وهو الشاب المستهتر الطائش تورانشاه قتله مماليك أبيه. ثم قتل أثنين من السلاطين المماليك والملكة شجر الدر في حالة من الاضطراب رافقت وصول الحكم المملوكي وسقوط الحكم الأيوبي.

ثم تهديد التتار لمصر بعد سيطرتهم السريعة علي الشام الأيوبي، بفضل العلماء والقضاة والمنافقين ورجال الدولة الذين سارعوا إلي خدمة المحتل التتري.

وظهر أثر بطولة وصمود البطل أرجواش قائد قلعة دمشق الذي أعتصم بها وقاتل التتار من داخلها حتي أفضل مشروعهم في دمشق والشام وبدلا عن تمجيد البطل مجّد إعلام الخلافة شيخ الإسلام الجاسوس التتري ورفعوه إلي درجة نبي من أولي العزم. وجعلوا ما يهذى به من فتاوى هي عين الدين حتى لو خالفت أو تجاهلت نصوص الشرع.

حملة التتار التي هددت مصر واحتلت الشام أدت إلي نتائج عكسية تماما فقد دعمت حكم المماليك ومكنتهم من تنظيف الشام ومصر من الآثار الأيوبية ورجال العهد الأيوبي فيها عدا النادر منهم (مثل قراقوش وزير صلاح الدين ويده القدرة في الحكم) فجعلوه مسئولا عن بعض المناطق التي اشتهرت بمعارضة الحكام الأيوبيين سابقا مثل صعيد مصر وبعض جبال الشام التي يسكنها الدروز.

كان قراقوش سوط عذاب في يد صلاح الدين أنتقل إلي يد المماليك وكانت تلك الشخصيات الفاسدة الباطشة ضرورية في الحكم الإسلامي الباطش لارتكاب الجرائم نيابة عن الحكام أو الخليفة الطاهر النقي ناصع البياض السمين جميل الوجه فاعل الخيرات صاحب المقعد المضمون في الجنة بعد أن تغلبت حسناته على سيئاته حسب فتاوى فقهاء السباط السلطاني ومؤلفو كتب التاريخ. فقاتل آلاف الأرواح البريئة وسارق أقوات الفقراء وناقل بيت المال وثروة المسلمين (إلي "الخزائن الشريفة" للخليفة أو السلطان) وطبقا لصكوك الغفران الإسلامية غادر مقعده في جهنم وتوجه في رعاية الله وحفظه إلي الجنة معا الشهداء والصديقين، ولا عزاء للمظالم). (أنظر ماكتبه الشيخ الذهبي عن السلطان سيف الدين قلاوون ثم أبنه الأشرف) كما سيأتي معنا لاحقا.

من أمثال هؤلاء ومن روادهم الأوائل كان عبيد الله ابن زياد قاتل الحسين ابن علي (رضي الله عنه) وكان منهم أيضا زياد بن أبيه ، و الحجاج ابن يوسف الثقفي حارق الكعبة وقاتل عبد الله ابن الزبير .

المسيرة المملوكية في مصر

معركتي المنصورة وعين جالوت حددتا علاقة عدائية لا هوادة فيها بين المماليك وأقوى قوتين في العالم: التتار والفرنجة

مماليك مصر مع مرور الزمن والمدة الطويلة للغاية التي حكموا فيها مصر 6 قرون . اعتبروا مصر وطنهم الوحيد الذي يعرفونه فقد جاءوا إليه صغارا وتلقوا تعاليم الدين والتدريب العسكري فكانت كل مجموعة منهم تابعة لأمر كبير في مدارس خاصة وكانت تربطهم رابطة الانتماء إلي أمير واحد والعمل في خدمته تلك الرابطة كان اسمها خشداشيه وهي الزمالة المملوكية في خدمة نفس الأمير وهي رابطة لها اعتبار وتمثل درجة تشبه القرابة فجميعهم غرباء قلعة في عن المجتمع.

هؤلاء المماليك أول من جعل منهم قوة عسكرية واحدة كبيرة كان هو السلطان الصالح نجم الدين أيوب وترتيبه قبل الأخير في ملوك الأيوبيين. وهو مؤسس المماليك البحرية واسكنهم قلعة في جزيرة الروضة مقليل القاهرة.

وجاء من بعده أبنه تورانشاه الذي كان السلطان الأيوبي الأخير في مصر .

قتله المماليك خوفاً منه لأنه كان يسعى معاملتهم ويعتمد علي مجموعة مماليك صغار من حصن سميحاً أعطاهم المناصب العالية ورقاهم إلي رتبة أمراء بدون أن يتمتعوا بأي كفاءة .

وتكلمنا عن اتخاذ الطواشي صبيح في منصب عال وهو "أمير جاندار" وكان طوشيا يحرس ملك فرنسا الأسير ، وكل مؤهلاته أنه كان فحلاً قويا أعجب به وبخدماته السلطان تورانشاه.

المهم أن الضربة الأولى في قتل آخر سلاطين الأيوبيين كانت من نصيب الأمير بيبرس البطل الشهير وهو من مماليك البحرية أيضا .

(ملاحظة: أول ما بدأ به السلطان تورانشاه في المنصورة، أنه أخذ المماليك الصغار للأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ (قتل عارياً أمام قصر السلطان في المنصورة وهو يقاتل فرسان الفرنجة). أخذ السلطان المماليك الصغار بدون القيمة ولم يعط شيئاً للورثة (أخذهم غصباً) وكان ذلك بقيمة 15 ألف دينار . وأخذ يسب الأمير فخر الدين ويقول : وأطلق السُّكَّر والكتان ، وأنفق المال، وأطلق المحاسيب . إيش ترك لي؟؟ ص 450-ج 1 السلوك).

قلنا أن المماليك علي قسوتهم في تعاملهم مع شعب مصر إلا أن الأمراء الذين تولوا القيادة ووصلوا إلي كرسي السلطنة تميز بعضهم بالحكمة والحرص علي مصر ومحاولة إصلاح شئونها والاهتمام جدياً بالدفاع عنها من أي أخطار خارجية ، وكانوا جادين للغاية في مواجهة الصليبيين و التتار ، الذين كانوا في حالة سباق للسيطرة على مصر والشام. المماليك هم أغراب عن المنطقة كانوا ينظرون لمصر على أنها وطنهم الأخير فليس لديهم وطن غيرها تجلي ذلك في المواجهة الحادة بين المماليك والتتار والصليبيين. علي عكس ما فعل الأيوبيين الذين تميزوا بالمساومة وكانهم طرف ثالث منافس مع القوتين الأخريين علي احتلال المنطقة وهما التتار والصليبيين.

فكانوا يشكلون لعبة ثلاثية تشبه الكراسي الموسيقية يتحالفون ويتآمرون ويتعاونون ثم يتحاربون مع بعضهم البعض.

واستفاد الأيوبيين بأن يناورا بالتحالف مع طرف منهما ضد الطرف الأيوبي المنافس، أي استخدموا التتار و الصليبيين في التنافس الأيوبي الذي لم يتوقف لحظة وكانت الشام مسرح لقتال الأيوبيين مع بعضهم البعض ضمن تحالفات صليبية أو تتارية.

وكانت نقطة الانطلاق هي تلك الرشوة التي قدمها صلاح الدين للصليبيين بعد ساعات من توليه السلطة في القصر الفاطمي في القاهرة مدعياً انه ذاهب لقتالهم في الشوبك وإيلات والكرك وهو الحادث الذي تكلمنا عنه في موضعه من سيرة صلاح الدين الأيوبي الذي قدّم 5000 من الدواب المحملة بالكنوز الفاطمية رشوة للصليبيين حتي لا يتدخلوا في شؤون مصر وينصروا أي طرف ضد صلاح الدين وأن يمنعوا مرور جيوش زنكي من الشام إلي مصر .

حيث كان السلطان زنكي يتوعد صلاح الدين بطرده من مصر فكان بداية الحكم الأيوبي منذ لحظته الأولى قائماً علي التنافس علي الاحتلال المنطقة وليس العداوة الدينية أو المذهبية أو تحرير المنطقة.

و مع التتار، مارس الأيوبيون نفس اللعبة أيضا ولكن التتار كانوا مشغولين في بغداد لاختراع باقي العراق خاصة المناطق المتاخمة للقبائل التركية والسلجوقية. اما المماليك فبدأوا من أول لحظة بصدام مع الصليبيين في حرب دمياط والمنصورة وكانوا أحد العوامل الرئيسية في هزيمتهم .

خاصة الصدام التاريخي أمام قصر السلطان في مدينة المنصورة حين تمكنت القوات الفرنسية بقيادة الملك لويس من الوصول إلي قصر السلطان وكادوا أن يدخلوه فيحسموا المعركة .

بداية العداوة

هذا بالنسبة لموقف المماليك مع الفرنجة وأن عدائهم كان جدية وهم الذين خلعوه من الشام وطردوهم منه نهائيا بعد احتلال استمر قرنين من الزمن.

نفس هذا الثلاثي الذهبي من أمراء المماليك أي قطز وبيبرس وقلاوون كانوا أبطال معركة عين جالوت التي قادها وكان نجمها الأشهر السلطان قطز فأوقعوا بالتتار هزيمة كبيرة كانت أول هزيمة لهولاكو منذ خروجه للحرب.

فحطموا آمال التتار وأصابوا هولاكو باليأس بعد أن هزموا قواته الضخمة في عين جالوت.

أول/ وآخر/ سلطنة مملوكية على عرش مصر

(ص 460-ح1) السلوك

(648 هـ) كانت شجر الدر تركية الجنس وقيل بل أرمنية اشتراها الملك الصالح أيوب ، وحظيت عنده بحب فكان لا يفارقها سفرا أو حضراً وهي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك.

عندما قتل السلطان غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب. اجتمع الأمراء المماليك البحرية وأعيان الدولة وأهل المشورة بالدهليز السلطاني واتفقوا علي إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب في مملكة مصر. وأن تكون العلامات السلطانية على التواقيع من قبلها.

وأن يكون مقدم العسكر (قائد القوات) هو الأمير عز الدين أيبك التركماني الصالحي -أحد المماليك البحرية- وحلفوا علي ذلك .

كاد الفرنسيون أن يستولوا علي تونس وأن يزحفوا علي مصر من إتجاه الغرب بعد أن فشلت في احتلال مصر من جهة دمياط والمنصورة.

وفي نفس الوقت انقلب ملوك وأمراء الأيوبيين في الشام وتحالفوا ضد شجر الدر جميعا في وحدة نادرا ما تحدث.

وغزوا مصر لاستخلاصها من أيدي المماليك الأتراك البحرية لإعادتها مستعمرة أيوبية كردية.

(الذين أسسهم وجمعهم السلطان الأيوبي نجم الدين أيوب)هم صناعة أيوبية في الأساس ولكن من طراز تركي .

وسار رجال الأيوبيين وأمرؤهم في الشام ووحدوا الشام الأيوبي كله وعزموا علي توليه الملك الناصر صلاح الدين حفيد صلاح الدين الأيوبي الذي تحرك من حلب إلي دمشق واستلمها بدون قتال من أمراء الأيوبيين هناك .

وتسلم من قلعة دمشق ما بها من مال وكان مقداره أربعمائة الف دينار سوى الأثاث. ففرق جميع ذلك علي الملوك والأمراء.

وبدأ السلطان أيبك بالقبض في مصر علي عدد من أمراء المماليك الصالحية (التابعين للسلطان الصالح نجم الدين أيوب) الذي توفي.

وصل الخبر الي قلعة الجبل في القاهرة في سادس ربيع الآخر بخروج الناصر من حلب فجدد الأمراء والمماليك الأيمان بشجر الدر ولعز الدين أيبك بالمقدمة (القيادة) علي العساكر .

ثم وصل الخبر إلي قلعة الجبل بدخول الملك الناصر إلي دمشق وتسليم الأمراء القيمرية (الأكراد) البلد له، فقبض في القاهرة علي عدة من أمراء مصر الذين ليسوا من الترك وعدة ممن يتهم بالميل إلي الناصر .

وتزوج الأمير عز الدين أيبك بشجر الدر ، وخلعت شجر الدر نفسها من مملكة مصر ونزلت له عن الملك، فكانت مدة دولتها ثمانين يوما (كانت مدة الدولة الأيوبية في مصر واحد وثمانين عاما ، فقد أدركت شجر الدر من خبرتها في إدارة الدولة في أيام زوجها نجم الدين أيوب أن الأوضاع أكبر من قدرتها على المواجهة والسيطرة علي أمور مصر، التي يهددها من الداخل عملاء الدولة الأيوبية من أمراء وأصحاب أقطاعات ومماليك البحرية الأقوياء.

والشام كله قد تجمع ضدها تحت راية ملك أيوبي هو(الملك الناصر صاحب حلب) والذي أصبح الآن في دمشق وانضمت إليه غزة والشويك والكرك.

خدمات الملكة "شجر الدر" لمصر

يمكن القول أن موقف شجر الدر كان فيه إنقاذ لمصر من الوقوع تحت احتلال الفرنجة فإن إخفائها خبر موت زوجها نجم الدين الأيوبي إلي حين عودة ولي عهده تورانشاه أوقف حرب كانت ستقع لا محالة بين كبار المماليك الذبين يقفون علي رأس القوات في المنصورة ودمياط في مواجهة الجيش الصليبي.

الكثير منهم يطمع في الوصول إلي سلطنة مصر ومنهم من كان يتجهز بالفعل لذلك مثل الأمير فخر الدين يوسف وغيره من قادة الجيش .

ولما عرف الخليفة العباسي حاول الصيد في الماء العكر والاستيلاء علي مصر علي البارد مستغلا الصراع بين المماليك الأتراك والأيوبيين الأكراد .

الخليفة المستعصم يسترجل على ملكة مصر

فبعث الخليفة المعتصم بالله من بغداد كتابا إلي مصر وهو ينكر علي الأمراء ويقول لهم :إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتي نسير اليكم رجلاً.

(تعليق: هذا في الوقت الذي كان قصر الخلافة في بغداد تديره الراقصات والجواري والغلمان ويعمل آلاف التتار كقوات مرتزقة في بغداد نفسها داخل جيش خليفة المسلمين).

و صدق عليه قول عوام المصريين بأنه كان (خليفة سكة) أي لا يملك من السلطة غير طباعة اسمه علي العملة المعدنية "السكة" وصار المصريون يطلقون علي الرجل الذي ليس له قيمة، "أنه راجل سكة".

واتفق مماليك القاهرة حتي يخرسوا الخليفة "المسترجل بالله" أو كما أسماه اراذل القاهرة "المستعطي بالله" (أي المتسول باسم الله). وحتى يكسروا من غضب الأيوبيين المتجمعين في الشام ويفرقوا جمعهم اتفقوا علي أن يضعوا ملكا من البيت الأيوبي إلي جانب السلطان أيبك كشريك له في الملك حتي يجتمع الكل علي طاعته ويطيعه الملوك (الأيوبيين) من أهله.

واتفقوا علي إقامة الملك الأشرف مظفر الدين موسي ابن الملك المسعود ويقال له الناصر صلاح الدين يوسف وله من العمر نحو ست سنين شريكا للملك المعز أيبك وأن يقوم الملك المعز بتدبير الدولة .

فأقاموه سلطانا في ثالث جمادي الأولى، وجلس علي السماط وحضر الأمراء في خدمته يوم الخميس خامس جمادي الأول ، فكانت المراسيم والمناشير تخرج عن الملكين الأشرف (الطفل) والمعز (قائد الجيش)، إلا أن الأشرف ليس له سوي الاسم في الشركة لا غير ذلك، وجميع الأمور بيد المعز أيبك (ص464-ج1) السلوك.

لم تكن هذه أول مرة يوجد في قلعة الجبل سلطان حقيقي والي جانبه سلطان سكة ، فقد تكرر ذلك مرات عديدة في التاريخ المصري وفي تاريخ خلفاء بني العباس. فالعديد منهم كانوا سكة.

المماليك يكسرون الهجوم الأيوبي على مصر

علماء مصر(عرائس من ورق في يد من حكم): ودعائهم "اللهم انصر من غلب".

(ص470-ج1) السلوك

في عصر السلطان عز الدين ايبك التركماني أول سلاطين مصر من المماليك الشركس بعد معركة بين جيش أيوبي جاء من الشام لاسترجاع حكم مصر من المماليك الذين تسلطن عليها عز الدين ايبك. (دارت في الصحراء شرق مصر بالقرب من بلبس) وكانت نتيجتها مختلطة ولم يعرف من انتصر فيها إلى وقت متأخر، فارتبك علماء مصر لمن يدعون بعد صلاة الجمعة هل للسلطان أيبك أم للسلطان الصالح إسماعيل الأيوبي صاحب دمشق، ولما اتضحت الأمور وفي يوم الثاني الأثنين الرابع عشر من سنة 648 هـ شق الأمير ناصر الدين إسماعيل ، أستاذار الصالح إسماعيل ، وشنق الأمير بكجا ملك الخورازمي ، وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير ، علي باب قلعة الجبل ، ومعهم المجير بن حمدان من أهل دمشق. وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجواهر مالا يوجد مثله إلا عند الخلفاء ، بلغت قيمة ما ظهر له سوي ما كان مودوعا ثلاثة آلاف دينار ، ووجد له عشرة آلاف مجلدة كلها مخطوط منسوبة ، وكتب نفيسة .

وفي ثاني عشرية: خرج الملك المعز (أبيك التركماني) كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر إلي دمشق علي حمير ، هم وأتباعهم ولم يكن أحد منهم أن يركب فرسا، إلا نحو الستة أنفس فقط ، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل. (ص471-ج1) السلوك

المماليك البحرية يفتحون مصر ويستعبدون المصريين.

بعد إفشالهم محاولات ملوك الشام الأيوبيين استرجاع مصر بدأ المماليك الذين أعجبتهم قوتهم، في التصرف مثل سابقهم من فاتحي مصر التي سيدخلها الإسلام لأول مرة على أيديهم.
(سنة 648 هـ)

وفيهما كثر ضرر المماليك البحرية بمصر ومالوا علي الناس فقتلوا ونهبوا الأموال وسبوا الحريم وبالغوا في الفساد، حتي لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم.

وفي سنة اثنين وخمسين وستمائة (652 هـ) - (عهد السلطان ايبك التركماني).

وفيهما أستحفل أمر الفارس أقطاي الجمدار (من قادة الحرب على عرب مصر) وانحازت إليه المماليك البحرية وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونساءهم وأولادهم بأيديهم ، فلا يقدر أحد علي منعهم وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء غصبا، وكثر ضررهم .

وفي السابع عشر ذي الحجة: سار الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة في ثلاثة آلاف إلي غزة واستولي عليها. (ص 472-ج1) السلوك

وخرجت هذه السنة : (648 هـ) والناصر يوسف بدمشق وبيده ملك الشام والشرق ، ومملكة مصر بيد الملك المعز "عز الدين أيبك التركماني" ، ويُخطب معه للأشرف موسي (طفل من آل أيوب)، والمعتمد عليه في أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء : وهم الأمير فارس الدين أقطاي ، وركن الدين بيبرس البندقداري، وسيف الدين بلبان الرشيدي (ص472-ج1) السلوك

سيدة الظلام تحت قلعة الجبل تساعد في

خنق الملك الصالح إسماعيل الأيوبي

(ص471-ج1) السلوك

(648 هـ)

وفي ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة: قتل الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب (أخو صلاح الدين) بقلعة الجبل وعمره نحو الخمسين عاما. قال ابن واصل: من أعجب ما مرَّ بي أن الملك الجواد مودودا، لما كان في حبس الملك الصالح إسماعيل سيَّر إليه الملك الصالح إسماعيل من خنقة، وفارقه ظنا أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه قد أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتي مات. وفي هذه الليلة لما أخرجوا لذلك الصالح إسماعيل بأمر المعز أيبك إلي ظاهر القلعة، وكان معهم ضوء فأطفأوه، وخنقوه وفارقوه ظنا أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتي مات. فأنظر ما أعجب هذه الواقعة! ودفن هناك، وكانت أمه رومية وكان رئيس النفس نبيل القدرة مطاعا، له حرمة وافرة، وفيه شجاعة.

(648 هـ) ومات في هذه السنة من الأعيان:

الملك المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، قتيلا "إغتيال" في يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم. ومات الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، قتيلا "خنقا" في ليلة الأحد سابع عشرين ذي القعدة، عن نحو خمسين سنة.

المماليك أمام دستور يزيد للحكم الاستبدادي

ما وضعه يزيد من أسس للحكم الاستبدادي الوراثي ظل محترماً ومتبعاً وبعضه مازال ساريا حتي الآن ضمن قواعد الحكم العربي الفاضل.

من ضمن ما وضعه يزيد من قواعد تأسيسية أي قواعد تأسس للاستبداد كانت عمليات إبادة الخصم في الساعات الأولى من الإمساك بالسلطة وقتل قياداته ومطاردة الهاربين منهم وأن يظلوا علي قائمة المطلوبين طول حياة الدولة التي أقيمت سواء أموية أو عباسية أو غيرها.

بدأ يزيد بحملة لإبادة (آل أحمد) ومحبيهم من الأنصار خاصة من قبيلة الخزرج في المدينة المنورة. وكتب في ذلك شعرا كان في الحقيقة دستورا مكتوبا للحكم المستبد الذي يحكم باسم الإسلام بدون أن يطبق أي شيء من قواعده بل يعلن أنه لن يطبق القرآن والسنة في حُكمه.

قال يزيد في شعره الذي طبقه عمليا قبل أن ينظمه شعرا:

ليت أشياخي في بدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا وقالوا يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فجزيناهم ببدر مثلا واقمنا مثل بدر فاعتدل

لست من خنيف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

ونفذ يزيد مجزرة الحرة في المدينة المنورة وقتل عدة الآلاف من الصعابة والتابعين وأنتهك أعراض المسلمين حتى ولدت ألف امرأة بلا زواج. وإستبيحت المدينة ثلاثة أيام لجنود يزيد. وقُتل حفيد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الحسين (رضي الله عنه) لأنه كان أهم المعارضين ورأس آل بيت النبي وكبيرهم في ذلك الوقت. فأباد آل البيت هو أحد بنود حكم يزيد ودستوره فهو القائل شعرا بعد أن نفذ عملا ذلك الشاعر(لست من خنيف اذا لم أنتقم من ال أحمد ما قد فعل ، فقتل ال أحمد وكبار المعارضين هو دستور حكم الهرقلية الإسلامية .

العباسيين عندما استولوا علي الحكم طبقوا أيضا دستور يزيد ولكن ضد ال يزيد وكان يحكم الأمبراطورية الإسلامية وقتها خلفاء من أولاد مروان بن الحكم.

(الطريد الذي طرده رسول الله(صلي الله عليه وسلم) من المدينة وحرّم عليه دخولها قائلا :لا يجاورني فيها). ولكن كالعادة منذ إنشاء الدولة الهرقلية الظالمة لم ينفذ الحكام وصايا الرسول(صلي الله عليه وسلم) فمروان الطريد أصبح خليفة للمسلمين، وآخر خلفاء الدولة الأموية (مروان الحمار) كان حفيده.

مع بداية حكم العباسيين سقوا الأمويين من نفس الكأس التي أخترعها يزيد فعاملوهم بنفس مبدأ يزيد في القضاء علي الخصم وقتل قياداته وتدشين قيام الدولة الجديدة بمجزرة كبيرة تعاقب جمهور الدولة الماضية.

وكذلك ضرب العباسيين جمهور الأمويين حتي لم يبق منهم إلا من أستطاع الهرب الي الأندلس وأقل القليل بقوا مبعثرين في أرجاء الإمبراطورية التي أسسوها بالظلم والعدوان حتي أغتصبها منهم أبناء عمومتهم العباسيين.

وعندما أنقلب صلاح الدين علي الخليفة الفاطمي في مصر ظل يطارد ذريته حتي آخر يوم في حياته وكان آخر قرارته أبعاد من تبقي منهم إلي سجن صرخد في الشام حتي تنقطع علاقتهم بمصر نهائيا .

أما الجمهور الموالي للنظام الفاطمي السابق الذي يجب معاقبته، فكان كل شعب مصر فاضطهدهم صلاح الدين اضطهادا شديدا كما شهد مؤرخو تلك الفترة .

فقتل كل من يشتهبه في أنه متعاطف مع الدولة الفاطمية وكانوا يشكلون أغلبية الشعب في ذلك الوقت بما فيهم أهل الذمة. واستضعف أهل الصعيد والبدو وفرض عليهم ضرائب تعجيزية جعلت البدو يعانون من الفقر وضيق العيش.

أما المصريون، سكان النوبة من أصول سودانية فقد كانوا هدفا دائما للاختطاف والاستعباد (سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين) وسلبت أموالهم حتي وضع السلطان حاكما عليهم في أحد الفترات عصابة من المجرمين الأكراد فقتلت ونهبت حتي اغتنت (وامتلأت أيديهم بالمال الحرام) فتركوا المنطقة وذهبوا إلي القاهرة ليتمتعوا بما جمعوه من ثروة .

ثم جاء المماليك وطبقوا نفس الدستور اليزيدي فقتلوا آخر سلطان أيوبي ابن سيدهم الذي رباهم وأسس جماعتهم وسماهم المماليك البحرية. واستولي المماليك علي ثروات الأيوبيين في مصر وحاولوا الاستيلاء علي الممالك الأيوبية في الشام ولكن الأيوبيون اتحدوا ضدهم ومنعوهم من أخذ الشام مستعنيين أحيانا بالفرنجة وأحيانا أخري بالتتار .

عين جالوت نقطة تحول في تاريخ الشام

انتصار المماليك على التاتار في معركة عين جالوت بدل كل الموازين في الشام ووقعت الشام تحت سيطرة المماليك إلي أن جاء الغزو العثماني الهمجي الذي دمر مصر وأسقط حكم المماليك ونهب كل ما يمكن نهبه من مصر والشام .

المماليك أيضا قتلوا كبار الأمراء الأيوبيين بعدها بحثوا عن القاعدة الشعبية التي تناصر الأيوبيين وعندما لم يجدوا شيئا يذكر، استهدفوا القاعدة الفاطمية أي نفس القاعدة التي كان يستهدفها صلاح الدين فضربوا جميع الفئات الشعبية خاصة العرب والنوبة وأهل الصعيد ومساكين المدن والنصارى لم يكن لذلك فائدة سوى اكتساب كراهية المصريين. وربما أن المماليك بمعلوماتهم البسيطة تصوروا أن استهداف تلك الفئات من الشعب المصري الذين هم أغلبية الشعب هو جزء من الديانة الإسلامية ومن ضرورات الحكم الإسلامي الرشيد (كما تبناوا في البداية السياسة الأيوبية الخبيثة بتهديم القلاع الساحلية والحصون. حتى بدأت تلك السياسة تتغير تدريجيا منذ أن تسلطن بيبرس البندقداري) .

تأصلت عقيدة اضطهاد الشعب المصري لدى حكام المحروسة بوصول صلاح الدين إلى حكم مصر علي أنقاض الدولة الفاطمية.

التي حكمت مصر مائتين وخمس عشر سنة بالعدل الذي فرح به المصريون كثيرا وتسبب لهم في مشاكل جمة أخذت طابعا مذهبيا مازال مستمرا حتي الآن طبقاً لدستور يزيد للحكم الهرقلي الذي أسماه خلافة إسلامية .

رسالة هولاكو إلي سلطان مصر

658 هـ

وكانت نذير لمصر بخطر ماحق على يد هلاكو الرهيب الرابض في بغداد (عاصمة خلافة المسلمين سابقا) وبالتأكيد أدهشه عدم مبالاة المسلمين بسقوط عاصمة الخليفة في يد جيش وثنى فلا بغداد قاومت ولا باقى الإمبراطورية الشاسعة حاول استعادة عاصمة حكمتهم لخمس قرون، بل كأنهم استراحوا منها . فأخذ هولاكو يراقب ويخطط يحدوه أمل في ابتلاع جميع بلاد العرب بنفس السهولة .. تفكير منطقي بلا شك . ولكن شاء الله شيئا آخر. جرى وفي تلك السنة وصلت رسل هولاكو إلي مصر بكتاب نصه:

(من ملك الملوك شرقا وغربا، القان الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء، يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلي هذا الإقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه (فى ذلك إشارة إلى الانقلاب المملوكي على الدولة الأيوبية). (ص514-ج1) السلوك.

يعلم الملك المظفر قطز ، وسار أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، إنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا علي من حل به غضبه ، فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمرکم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا يعود عليكم

الخطأ . فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكى ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم البلاد، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب. فأى أرض تأويكم ، وأي طريق تنجيكم ، وأي بلاد تحميكم ؟ فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال. فالحصوي لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ومطركم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عند الكلام ، وخنتم العهود والأيمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان فأبشروا بالمذلة والهوان ، (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم ، فلکم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن خالفتم هلكتم فلا تهلکوا نفوسکم بأيديکم ، فقد حذر من أنذر ، وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة ، فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل وبغير الأهنة لملوكم عندنا سبيل. فلا تطيلوا الخطاب ، وأسرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمي نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا . وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية. فقد أنصفنا إذ راسلناكم ، وأيقظناكم إذ حذرناكم فما بقى لنا مقصد سواكم. والسلام علينا وعليكم ، وعلي من أطاع الهدي ، وخشى عواقب الردي ، وأطاع الملك الأعلى .(514ص-ج1) السلوك.

ألا قل لمصرها هلاؤن قد أتى بحد سيوف تنتضى وبواتر
يصير أعز القوم منا أذلة ويلحق أطفالا لهم بالأكابر

فجمع قطز الأمراء ، واتفقوا علي قتل الرسل والمسير إلي الصالحية (بالقرب من بلبيس في الطريق إلى الشام). فقبض علي الرسل واعتقلوا وشرع في تحليف من تخيره من الأمراء ، وأمر بالمسير والأمراء غير راضين بالخروج كراهة في لقاء التتر .

معارك مملوكية حاسمة

معركة عين جالوت

(وا إسلاماه !)

(ياالله أنصر عبدك قطز على التتار)

تقدم الملك المظفر قطز لسائر الولاة بإزعاج الأجناد في الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفي يضرب بالمقارع .

وسار حتي نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر ، فطلب الأمراء وتكلم معهم في الرحيل فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل .

فقال لهم: (يا أمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون وأنا متوجه، فمن أختار الجهاد يصحبني ومن لم يختار ذلك يرجع إلي بيته. فإن الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين) .

وذكّرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسي والسبي والحريق ، وخوّفهم وقوع مثل ذلك ، وحثّهم علي استنقاذ الشام من التتر ونصرة الإسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله.

فصجوا بالبكاء ، وتحالفوا علي الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد. فتكلم الأمراء الذين تخيرهم وحلّفهم في موافقته على المسير ، فلم يسمع البقية إلا الموافقة وانفض الجمع.

فلما كان ركب السلطان ، وقال: (انا ألقى التتار بنفسي).

فلما رأي الأمراء مسير السلطان ساروا علي كُرّة ، وأمر الملك قطز الأمير "ركن الدين بيبرس البندقداري" أن يتقدم في المعسكر ليعرف أخبار التتار، فسار بيبرس إلي غزة وبها جموع التتار ، فرحلوا عند نزوله ، ومَلَكْ غزة، ثم نزل السلطان بالعساكر إلي غزة وأقام بها يوماً، ثم رحل من طريق الساحل علي مدينة عكا. وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا إليه بتقادم (هدايا)، وأرادوا أن يسيروا معه نجدة ، فشكرهم وأخلع عليهم ، واستحلفهم أن يكونوا لا لهُ ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متي تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذي عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقي التتار .

فأمر السلطان حينئذ أن يسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري بقطعة من العسكر ، فسار حتي لقي طليعة التتر .

فكتب إلي السلطان بعلمه بذلك وأخذ في مناوشتهم ، فتارة يقدم وتارة يحجم ، إلي أن وافاه السلطان علي (عين جالوت).

وكان (كتبغا) و (بيدار) نائباً هولأكو ، لما بلغهما مسير العساكر المصرية جمعا من تفرق من التتر في بلاد الشام ، وسارا يريدان محاربة المسلمين ، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها .

فلما كان "الجمعة 25 رمضان 658 هـ".التقي الجمعان ، وفي قلوب المسلمين وَهُمَّ عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس. وقد امتلأ الوادي وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء فحيز التتر إلي الجبل فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتفض طرف منه.

فألقي الملك المظفر عند ذلك خوذته علي رأسه إلي الأرض وصرخ بأعلى صوته: (وإسلاماه !) وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره وقتل كتبغا مقدم التتر ، وقتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز وكان مع التتر .

وانهزم باقيهم ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون وأبلي الأمير بيبرس أيضا بلاء حسناً بين يدي السلطان .

مما اتفق في هذه الواقعة ، أن الصبي الذي أبقاه السلطان من رسل التتر وأضافه الي مماليكه ، كان راكبا وراءه حال اللقاء. فلما التحم القتال فوَّق سهمه نحو السلطان ، فبَصُر به بعض من كان حوله فأمسك به وقتل مكانه، وقيل بل رمي الصبي السلطان بسهمه فلم يخطئ فرسه وصرعه إلي الأرض، وصار السلطان علي قدميه ، فنزل اليه "فخر الدين ماما" وأركبه فرسه حتي حضرت الجنائب فركب فخر الدين منها ومَرَّ

العسكر في أثر التتر إلي قرب بيسان ، فرجع التتر وصافوا مصافا ثانيا أعظم من الأول ، فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدد منهم. وكان قد تزلزل المسلمون زلزلا شديداً فصرخ السلطان صرخة عظيمة: ياالله أنصر عبدك قطز على التتار. فلما انكسر التتار الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه علي الأرض وقبّلها ، وصلي ركعتين شكراً لله تعالي ثم ركب ، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالغنائم.

فَوَرَدَ الخبر بانضمام التتر إلي دمشق ليلة الأحد سابع عشرية ، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار إلي القاهرة ، ففر "الزين الحافظي" ونواب التتار من دمشق، وتبعهم أصحابهم فامتدت أيدي أهل الضياع إليهم ونهبوهم فكانت مدة استيلاء التتر علي دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام . المصدر كتاب السلوك

على هذا الحال ترك الأيوبيون مصر:

السلطان العزيز الأيوبي يأكل السُحت ويسرق طعامه من الأسواق

592 هـ في جمادي الآخرة : وقف الحال فيما ينفق في دار السلطان ، وفيما يصرف إلي عيالة ، وفيما يقتات به أولاده ، وأفضى الأمر إلي أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن ، وما يغصب من أربابة ، وأفضى هذا إلي غلاء أسعار المأكولات ، فكان المتعيشين من أرباب الدكاكين يزدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان، فاقتضي ذلك النظر في المكاسب الخبيثة ، وضمّن (تصريح مقابل ضريبة تدفع للدولة) باب المُرّر (خمر الشعير) والخمر بائني عشر ألف دينار، وفسح في إظهاره وبيعه في القاعات والحوانيت ، ولم يقدر أحد علي إنكار ذلك وصار ما يؤخذ من هذا النحو ينفق علي طعام السلطان وما يحتاج إليه وصار مال الثغور والجوالي (ضرائب أهل الذمة) إلي من لا يبالي من أين أخذ المال (الموظفين مختلسي المال العام). (ص246 ج1) السلوك.

أخطاء صلاح الدين تحديات كبرى تواجه الحكم المملوكي في بلاد الشام

(عن كتاب التاريخ لا يفيد)

أهم التحديات التي قابلت العهد المملوكي هو علاج التشوهات في أوضاع الشام نتيجة سياسات صلاح الدين خاصة مانّج عن حملته الكبرى في الشام واثارها الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية. وهى الحملة التي استعاد خلالها بيت المقدس من الصليبيين وفتح مدينة عكا. ولكن كان له خطآن جوهريان أفقدا هذا الانتصار الكبير فوائده.

الخطأ الأول:

توزيع أهم المناطق المفتوحة المستعادة من الاحتلال الصليبي كإقطاعيات خاصة علي أولاده، وأمراء البيت الأيوبي وكبار رجال الدولة وقادة الجند. أي الطبقة الأعلى والأغنى في النظام الأيوبي نتج عن ذلك سلسلة من الآثار السيئة التي تراكم معظمها علي الشعب المصري بحكم تركيبة الدولة الأيوبية التي كانت تعادي شعب مصر لشكوكها في ميولة الفاطمية

الخطأ الثاني:

كان توزيع الإمبراطورية الأيوبية بين أولاده قبل وفاته وكانت أكبر كتلة فيها هي مصر التي لم تقسم ولكن الشام تقسم إلي أجزاء عديدة أشبه بدويلات المدن.

أي كل مدينة كبيرة وما حولها من أراضي تعتبر دولة مستقلة لها أمير أو سلطان.

وحيث أن الشام كله كان مستهدفا كما رأينا منذ بداية الحروب الصليبية التي بدأت باحتلال ثغور الشام وإقامة ممالك صليبية حول كل ثغر هام مثل ، بيروت ، صيدا ، صور ، حيفا ، يافا ، عسقلان إلي آخره .

ولما زادت قوتهم وانكشف ضعف المسلمين والنظام الأيوبي طمعوا في احتلال مصر وقاموا بعدة محاولات من أجل ذلك .

بدأت في نهاية الدولة الفاطمية التي استنفذت طاقتها ودخلت مرحلة الشيخوخة والتحلل. فزادت الخلافات داخل مركزها في القاهرة بين وزيران قويان أحدهم استنجد بالصليبيين ليساعده في الوصول إلي الحكم والآخر استنجد بدولة آل زنكي في حلب وكلاهما فشل وسقطت الدولة في يد صلاح الدين الذي أرسله نور الدين زنكي لنجدها. وساعدهم صلاح الدين خلال الحملة الصليبية الأولى علي دمياط ثم استولي علي الحكم بعد ذلك وأسقط دولتهم وأقام دولته الأيوبية الخاصة. ومع الوقت انتزع الكثير من أراضي آل زنكي في الشام وضمها إلي مملكته. وكل ذلك كان طبيعيا طبقا لقوانين التعامل بين الدول في ذلك الزمان.

تجزئة الشام إلي عدة ممالك أيوبية أضعفت الشام من جهة وأطم فيه الصليبيين الأوربيين لعلمهم بالتنافس المرير بين أولاد أيوب واستنجداهم بالصليبيين وبالخوارزميين في آسيا الوسطي. بعد خمد الأتراك السلاجقة وكسرت شوكتهم وزالت دولتهم تقريبا. وعرض ملوك الشام الأيوبيين على التتار التحالف في مواجهة دولة المماليك الأتراك الذين أقاموا لهم دولة في مصر على أنقاض الحكم الأيوبي.

فلم يتجمع ملوك الأيوبيين مهما كانت الأخطار الا في لحظات قصيرة للغاية كانوا ينهمكون خلالها في التآمر علي بعضهم البعض أكثر من انهماكهم في محاربة عدو مشترك.

وكانوا يخططون أثناء المعارك مؤامرات ضد بعضهم البعض فلم تكن أي مملكة أيوبية قادرة علي التصدي للصليبيين منفردة ولا كانت قادرة علي تجميع ممالك الأيوبيين في الشام ضمن جبهة واحدة ضد الصليبيين.

وانتهى الأمر إلي أن تمكن الصليبيون بعد وفاة صلاح الدين بوقت قصير من استعادة القدس وعكا وجميع ثغور الشام التي فتحها صلاح الدين والشهيرة (بأراضي الفتح الصلاحي).

ملاحظة : تقسيم الأراضي المحررة إلي ممالك أيوبية في الشام صاحبها أيضا توزيع هبات وإقطاعات لرجال الدولة كما ذكرنا. وعندما تولي الملوك الأيوبيين ممالكهم في مدن الشام الرئيسية أعادوا توزيع الإقطاعات مرة أخرى على رجالهم الأقربين وانتزعوها من مالكيها أنصار الملوك السابقين.

ولم يكن ذلك سهلا في كل الأوقات بل كان أحيانا يستدعي إجراءات عنيفة وربما القتل بالسيف أو بالسم غالبا، أو النفي خارج المملكة سواء إلي ممالك إسلامية أو حتي مسيحية مثل القسطنطينية. وغالبا كانوا يقابلون بالترحاب لأسباب سياسية وليس إنسانية..

قد يتسبب نزاع الملكيات الكبيرة من الأمراء في حدوث انقلاب أو تمرد أو الهروب واللجوء إلي ملوك منافسين. ذلك هو التأثير السياسي السليبي في مسألة توزيع الإقطاعات .

وهناك التأثير العسكري وآخر إقتصادي وثالث إجتماعي أخلاقي. ستحاول إيراد بعض الأمثلة التاريخية عليها ولكن نشير إليها الآن .

من ناحية عسكرية: كان أصحاب الإقطاعات حريصون علي عدم وجود قلاع في حدود إقطاعاتهم حتي لا يتورطوا في شيء من نفقاتها.

لهذا فضلوا وأيدوا عملية هدم الحصون والقلاع بدعوى عدم إضاعة الأموال والرجال في الدفاع الدائم عنها ، ولكن الهدف الأساسي كان التهرب من نفقات تلك القلاع فشجعوا علي هدمها.

أما إذا نشبت الحرب وهدد العدو الصليبي تلك القلاع مرة أخرى فإن السلطان يفرض ضرائب علي الشعب لنفقات الحرب وإعادة بناء الحصون والقلاع.

في هذه الحالة يسارع أصحاب الإقطاعات الي تجميع الضرائب المطلوبة من الشعب بكل قسوة. فيتسبب ذلك في زيادة الفقر والمرض بين الناس بسرعة.

وفي مصر إذا صادف ذلك قلة مياه النيل التي تؤدي إلي زيادة الأسعار وقلة المحاصيل فإن المشكلة تتضاعف إلي مستويات مأساوية.

وقد إشتهرت مصر بعدة مجاعات تاريخية أدت إلي هلاك الكثير. وأحيانا معظم الناس.

وصاحب تلك المجاعات التي وصلت إلي درجة أكل الكلاب والقطط وجثث الموتى إلي تفشي الأمراض الأخلاقية أثناء المجاعة. ويستمر ذلك الانحدار الأخلاقي حتي بعد انقشاع الأزمة. وكان ذلك وصعب التفسير .

كما انتشرت الجرائم بشتي أنواعها في المجتمعات المدنية خاصة في القاهرة ومصر والإسكندرية. وانتشر تصنيع الخمور وتعاطيها كذلك الحشيش.

السلطة الأيوبية هي المتسبب الاول في تلك الأزمات وبالتالي تعجز عن علاجها فتلجأ إلي أي سبل لإيهام الناس بأن هناك تغيير قادم. قد يكون فتنة داخلية أو "غزو" خارجي ضد ملك أيوبي من ملوك الشام.

سقطات علي الطريق

الشورى اختيار إسلامي واحد للسنة والشريعة

عاشت الإمبراطورية العباسية خلال نصف حياتها الثاني في حالة فوضى سياسية وضعف شديد. قال المؤرخون أنه خلال الفترة العباسية افرقت كلمة الإسلام باشتداد العداوة بين العباسيين وبني هاشم. (المقريري في كتاب السلوك)

كما اضطهدت الدولة العباسية العرب وأبعدتهم عن السلطة السياسية وإدارة الدولة فقربت واستخدمت أجناس أخرى غير العرب خاصة الديلم والترك الذين نجحوا في الاستيلاء علي الخلافة نفسها وجعلوا من الخلفاء ألعوبة في أيديهم يضعوهم علي كرسي الخلافة أو يخلعوهم عنه، ويضعوهم في السجون ويثملون أعينهم (يكحلونهم) .

ونشأت العديد من الممالك استقلت عن الخلافة وأقاموا ممالك قوية كانت تقدم العون للخلافة أحياناً في مقابل أن تمنحها الخلافة شرعية دينية واعترافاً من طرف الخلافة، يشدد به أمام منافسيه.

وكان ذلك أقصي ما يمكن أن تقدمه الخلافة أو تناور به المنشقين عليها مثل الخوارزميون والبويهيون والديلم الذين أقاموا دولة بني بويه الذين سيطروا علي الخلافة فترة من الزمن وكادوا أن يستولوا عليها. وهناك الدولة السلجوقية التي مارست نفس الأدوار والتنكيل بالخلافة والخلفاء وتحويلهم إلي مجرد عرائس خشبية تجلس علي كرسي الخلافة.

كان هناك قوة ثالثة في أفغانستان الحالية وهي الدولة الغزنوية بقيادة محمود الغزنوي فاتح الهند وهو من أصل تركي وأعوانه ينسبون إلي دولته الغزنافية تحت أسم الأتراك "الغز" ولم يكونوا علي وفاق مع السلاجقة بل كانوا في تنافس شديد معهم.

دولة السلاجقة الذين سكنوا في الأناضول وشمال الشام والموصل هؤلاء تمكنوا من تحييد الدولة البويهية وسطوتها علي الخلافة فكان البوهيون من الديلم الشيعة وبلادهم في غرب جنوب بحر قزوين وقائدهم ثائر علوي عربي أدخلهم إلي الإسلام.

الخليفة العباسي كان مجالاً للمناورة صعب للغاية حتي لمجرد البقاء وكان يحاول التقرب لطرف علي حساب طرف خاصة ما بين الديلم (البويهون) والسلاجقة.

كان يلجأ إلي الغزنويين أحياناً ووصلهم من عندهم القائد التركي أبو الحارس البساسيري ومعه قوة من الحنود الغز .

هذا البساسيري استطاع أن يسيطر علي الخلافة العباسية فإضطر الخليفة إلي الإستنجاد منه بالسلاجقة.

فهزمها البساسيري وفر منهم ولكن ليطلب العون من الخليفة الفاطمي من القاهرة فطلب العون حتي يعيد الاستيلاء علي الخلافة العباسية ويضمها إلي ملك الخلافة الفاطمية في مصر فتصبح العراق خلافة فاطمية وليست عباسية .

ونجح انقلاب البساسيري لفترة قصيرة من الزمن (حوالي عام) ولكن السلاجقة الأقوياء تمكنوا من إزاحته مرة أخرى وأعادوا الخلافة العباسية.

وجاء خليفة عباسي حاول تجديد خريطة تحالفات الدولة العباسية فقرر طلب العون من التتار الذين قوي شأنهم علي حساب الدولة الغزنوية .

فوصلوا من حدود الصين حتى خراسان فاستنجد بهم الخليفة العباسي وطلب منهم احتلال بغداد لحمايتها من أطماع علاء الدين بن خوارزم شاه.

وكان علاء الدين في حروب مريّة ضد التتار كسب بعضها وخسر معظمها.

ولكنه نجح في النهاية في استعادة مملكته عندما ضعف التتار في المشرق نتيجة صدماتهم مع الممالك الإسلامية الأخرى خاصة الممالك في مصر الذين رغم سوء تعاملهم مع الشعب وتجاوزاتهم الشديدة عليه وحكمهم الخشن. إلا أنهم نجحوا في إبقاء الإسلام في الشام وهزيمة التتار في أول وأكبر هزيمة لهم في الشرق في موقعة عين جالوت بقيادة السلطان سيف الدين قطز ومعاونة بيبرس صديقه (وقاتله).

كانت معركة عين جالوت من أهم معارك الإسلام في الشام. قبل قيام الدولة المملوكية. كان صلاح الدين قد استعاد القدس من الصليبيين وكان ذلك أهم إنجازاته التي تذكر له حتي الآن.

وهو الإنجاز الذي أكسب حكمه الشرعية كحاكم لمصر من طرف الخليفة العباسي (المستضي بالله).

فقد كان صلاح الدين يعاني من مشكلة عويصة في الشرعية أمام الشعب المصري من جانب، ومن جانب دولة آل زنكي الذين كانت لهم دولة قوية يحكمها السلطان نور الدين زنكي ذو الهيبة والمكانة الاستثنائية (أعدل حكام زمانه كما وصفه المقرزي).

ولآخر يوم في حياة نور الدين كان يعد الجيش ليخلع صلاح الدين من مصر وكان يعتبره خائناً للأمانة إذ كلفة نور الدين زنكي بالذهاب إلي مصر مع عمه شيركوه وقوة من الأتراك الغز. لتثبيت الحكم الفاطمي في وجه مؤامرات الصليبيين مع رجل الدولة الفاطمي ضرغام لإخضاع مصر إلي الممالك الصليبية في الشام.

ولكن صلاح الدين استولي علي مصر لحسابه الخاص ونهب ثرواتها بشكل جنوني ولم يسلمها لنور الدين ومر معنا ذلك في موضع آخر .

جميع الأخطاء التي حدثت في الدولة العباسية من ضعف الخلافة وتفكك الدولة تكررت بحذافيرها فيما مر علي مصر من دول خاصة الأيوبيين ثم المماليك وفي النهاية الاحتلال العثماني لمصر .

خطورة التفسير الطائفي للتاريخ أنه أخذ المسلمين بعيداً عن فهم الأحداث ومعرفة الأخطاء التي وقعنا فيها وأدت إلي زوال الخلافة الإسلامية بداية من الدولة الأموية وصولاً إلي الدولة التركية .

سقط الجميع بنفس الأمراض وتكرارها الممل والدامي ولم يحاول أحد مجرد الاقتراب من الأسباب الرئيسية التي أدت إلي ذلك وأكتفينا بالتهريج الطائفي لتفسير التاريخ والأحداث .

ووصل بنا الأمر إلي درجة من السذاجة والسطحية يصعب إيجادها في أمة من الأمم.

مثل القول ان هناك شخصية شيعية هو ابن العلقمي ، استطاع إسقاط الخلافة العباسية. مع أن الخلافة العباسية كانت ساقطة عملياً قبل ظهوره علي مسرح الأحداث بعدة أجيال .

وعلي فرض صحة اتهام أنه ساعد التتار فهذا ليس عذراً كافياً لإسقاط إمبراطورية قوية وغنية ذات عقيدة دينية راسخة فهي ليست كومة من الرمل حتي يأتي شخص واحد كان منصبه الرسمي استادار (أي مدير تشريفات الخليفة) وكان مستشاراً له مع عديدين غيره فهو ليس المستشار الأوحده للخليفة وقد ذكر المقرزي أن التتار قد اتصلوا بالعديد من المستشارين والأمراء الكبار ووعدوهم وعوداً . بالمكافأة . بعد نجاح الغزو وإسقاط الخلافة وكان الخليفة يعرف بما يدور ولكنه لم يبال فقد كان منغمساً في ملذاته ولجأ هولاكو إلي إستراتيجية بارعة جربها مراراً. لتحطيم معنويات الخليفة الذي هو غير منتبه الي مسألة الخلافة فقد كان منغمساً مع المغنيات والراقصات في عالم آخر داخل قصر الخلافة المهيب.

تعتمد هولاكو بث الرعب في قلوب الجميع فلا يسعى أحد لعقد تحالفات لمقاومته في بغداد .

فبدأ بالهجوم علي أهم قوة يمكنها تقديم العون للخليفة (السلجقة) وكانوا يطمعون أيضاً في احتلال بغداد وجعلها عاصمة لخلافة تابعة لهم.

أهم هؤلاء كانوا السلاجقة الأتراك الذين كانوا يستولون لفترات طويلة علي الحكم في بغداد ليس بشكل مباشر بل من وراء خلفاء شكليين(خلفاء سَكَّة).

أرسل هولاء قائد جيشة مع قوة من التتار لمهاجمة الدولة السلجوقية في الموصل والأناضول وقتل منهم أعداداً كبيرة واستولي علي الأموال وأخذ الأسري من النساء والأطفال وأرتكب كل البشاعات التي يمكن تخيلها، وكان ذلك من الأمور المألوفة عند التتار .

وتقدم الجيش التتري مسافة شهر كامل داخل أراضي السلاجقة ثم عاد محملاً بالغنائم والأسري إلي هولاء الذي يحاصر بغداد. فأدرك حكام بغداد وشعبها وكبار مستشاري الخليفة سواء الخائنين أو غير الخائنين بأنه لا أمل ولن تأتي أي نجدات لإنقاذ بغداد. إلا الخليفة نفسه الذي كان غير مدرك لما يحدث خارج صالات الرقص والغناء (كان غارقاً في الترفيه) .

جذور المأساة في أنظمة حكم المسلمين

المقصود هو عودة إلي جذور المشكلة لمحاولة تحديد أبعادها الحقيقية وأعماقها. ليس بحثاً عن إدانة أحد أو تأييد أحد .

فالتحدي ليس تحدي سياسي بين جماعات متنافسة في الحاضر أو في الماضي بل هو مصير أمة ارتكبت الأخطاء حتي سُجِّقَتْ ولم تعد قادرة علي شيء حتي مجرد تقديم الطعام إلي المسلمين المحاصرين في غزة الذين يموتون جوعاً وقصفاً بطائرات اليهود .

ولا تجرؤ الشعوب الإسلامية في معظمها علي مجرد التعبير عن مشاعرهم بصوت مرتفع وليس الجهاد في سبيل الله .

(إلي هنا وصلنا؟) حسب تعبير صلاح الدين الأيوبي عندما أشتدت الأزمة بينه وبين سيده السابق نور الدين زنكي الذي أرسل أحد موظفيه ليطالبه بالأموال التي أخذها من مصر وأدرك صلاح الدين أن عهد الصفا والود قد انتهى وأن الحرب قادمة ولن تكون في مصلحته.

إلي هنا وصلنا؟.. ولكن كيف وصلنا ومن أي طرق كان المسير وكيف ؟ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) كما وصفها الله في القرآن الكريم كيف تحولت إلي أحقر من غثاء السيل رغم تعدادها الذي يقترب من ملياري إنسان؟.

أولاً.. المحطة الأولى هي : المشكلة في طريقة اختيار حاكم المسلمين بعد وفاه الرسول (صلي الله عليه وسلم) كي يستمر في إدارة أمور المسلمين الدنيوية والدينية لإختيار المنهج الذي أختاره الله لهم وهو الإسلام.

ظهر الأمر في بدايته أنه مشكلة صغيرة يمكن عبورها بقدر من الحكمة وقد كان ذلك صحيحاً ولكن لفترة محدودة إذا أدت تلك الخطوة إلي خطوات تالية فتفاقت مشكلة الحكم وانتقلت السلطة من حاكم إلي آخر حتي لقب الحاكم لم يكن الأمر مستقراً عليه هل يكون (أميراً للمؤمنين) أي رئيساً للمسلمين أم يكون

(خليفة) أي يخلف الرسول (صلي الله عليه وسلم) في قيادة الأمة لاستمرار المسيرة علي نفس الأوامر الإلهية وطريقة الحكم التي أتبعها .

وذكر المقريري في كتابة أن أحد خلفاء بني أمية (وهو الوليد بن يزيد) وكان ضعيفاً استخف به من حوله فكانوا يسلمون عليه مرة باسم أمير المؤمنين ومرة أخرى باسم خليفة المسلمين ولم يكن أحد يدري أيهما هو .

غزوة مؤتة من درس في اختيار القيادة إلى تفاخر بالسيوف المحطمة

هذه المشكلة لم يكن لها أن تحدث في الأساس خاصة بعد غزوة مؤتة وتكفي هذه الغزوة بالتحديد لتوضيح تلك النقطة أي العلاقة بين النص الشرعي والشوري في مسألة اختيار القيادة فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم جيش محمداً أمرين في غاية الأهمية كانت من أعظم الدروس النبوية .

الأمر الأول هو مهمة الجيش : وكانت إظهار قوة المسلمين حتي لا يفكر الروم في غزو المدينة .

ثانياً : حدد لهم طريقة تولي قيادة الجيش والتي بدأت أولاً بالنص و تحديد أسماء القادة بالتتابع .

أولهم زيد بن حارثة، فإن قتل فيتولي القيادة جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فيتولي القيادة سعد بن رواحه الأنصاري، فإن قتل فيتشاور المسلمون فيما بينهم ويختارون لهم قائداً .

وهذا القول من الرسول (صلي الله عليه وسلم) يعتبر تشريعاً دينياً حسب قوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) أي كل ما ينطق به الرسول هو بأمر الله وله قوة التشريع. والتشريع هو كما هو واضح هو تنفيذ النص أي بأن يتولي القيادة الذين حددهم الرسول (صلي الله عليه وسلم) فإن قتلوا جميعاً يجتمع المسلمون لتقرير قائد لهم بالشوري (وأمرهم شوري بينهم)، (وشاورهم في الأمر) أي أن الشوري مبدأ إسلامي أصيل كي يختار الناس لأنفسهم رئيساً أو في تقرير أي أمر لم يرد به نص شرعي واضح، أي الأمور المستحدثة أو تحتاج الي دراية بالدين حتي نعتز علي الحكم الشرعي الصحيح في تلك المسألة علي أن لا تكون نتيجة الشوري مخالفة لأمر شرعي صحيح وواضح فلا يصلح مثلاً أن يجتمع أهل الشورى في أي زمان وأي مكان ليقرروا أن تعاطي الخمر أو التعامل بالربا جائز لأنه أصبح من الأمور المستشرية في التعاملات في كل الدنيا.

فذلك غير جائز لأنه يصطدم مع نصوص واضحة في القرآن ولا تحتل التأويل. الشورى هنا لا تبحث إذا كان الربا حلال أم حرام فهو حرام قطعاً بحكم النصوص.

ولكن الشوري يجب أن تبحث في كيفية إخراجنا من الورطة التي وقع فيها العالم كله بالتعامل الربوي الذي فرضه اليهود عليهم.

في مؤتة التزم المسلمون بأمر الرسول (صلي الله عليه وسلم) فتولي القادة الثلاثة قيادة الجيش بنفس التتابع حتي استشهدوا جميعاً .

فتشاور المسلمون واختاروا خالد بن الوليد قائداً للجيش وهو بدوره أظهر عبقرية في القيادة أنتبه إليها بعض المحللين وغفل عنها البعض. نجح خالد في فهم جوهر وصية الرسول بأن تكون هذه الغزوة لردع الرومان عن التفكير في عزو الجزيرة العربية .

فقاتل قتالا شديداً كما قاتل القادة الذين استشهدوا. وقيل أنه كسر في يده في ذلك اليوم سبعة أو تسعة أسياف.

ولم تكن تلك عظمتة الحقيقية بل أنه ناور بقوة الصغيرة أمام قوات الرومان الضخمة حتي بث في قلوبهم الرعب. والمسلمون في مجموعة صغيرة بعيدة جدا عن المدد ومهدده بالتطويق والإبادة. والقوات الرومانية كثيفة العدد والتسليح.

فهم خالد أن الاستمرار بهذا الشكل يعني إبادة الجيش الإسلامي كله بدون أن تتحقق خسارة كبيرة للروم . فانسحب في إنجاز تكتيكي واضح لأن الانسحاب أمام قوة كبيرة بجيش صغير يعتبر مجازفة في حالة إذا واصل الخصم المطاردة فقد يتمكن من إبادة الجيش الذي يضم كبار الصحابة وأفضل المقاتلين في المدينة المنورة وإذا تمت أباداة هذا الجيش فإن الروم سيمتلكون الفرصة للهجوم علي المدينة والمسلمون سيجدون صعوبة في تكوين جيش آخر قادر علي صد الرومان فعظمتة خالد بن الوليد هنا ليست في تكسير الأسياف بل في فهم المهمة وتنفيذها علي أفضل وجه.

كان وضع المسلمين في المدينة المنورة خطيراً فمن جهة الشام مهددون بزحف كبير عطلتهم عنه غزوة مؤتة. وكانت القبائل العربية حول المدينة وفي أعماق جزيرة العرب قد بدأوا يهددون بالارتداد عن الإسلام بل والهجوم عن المدينة. حركة الردة تلك كانت هي الخطر الأكبر لأن القبائل العربية كانت المخزون البشري للجيوش الإسلامية خاصة في وجه التهديد الروماني من الشام أو التهديد الفارسي من العراق وكتاهما إمبراطوريات قوية وعريقة وجيوش ضخمة ذات خبرة .

ومع ذلك قرر الرسول عليه الصلاة والسلام إرسال حملة أخرى لردع الروم عن محاولة التفكير في غزو المدينة المنورة فكان يري أن خطرهم أقرب وهو اولي بالمجابهة فجهز جيشاً لتكرار الغزوة علي أطراف الإمبراطورية الرومانية في الشام بقيادة أسامة ابن زيد الذي كان أبوه أول قائد استشهد في غزوة مؤتة وشدد الرسول(صلي لله عليه وسلم) في إرسال ما أسماه المسلمون (بعث أسامة) أي جيش أسامة المرسل إلي الشام .

ثانياً.. الصدام بين الرأي والنص الشرعي

كان الكثير من الصحابة يرون أن خطر المرتدين حول المدينة هو الأخطر والأهم وخروج بعث أسامة سوف يغري المرتدين بالهجوم على المدينة .

فشددعليهم الرسول(صلي الله عليه وسلم) بإرسال جيش أسامة وكان يعاني من مرض الموت فتباطأ الكثيرون عن الالتحاق بالجيش ولم يكونوا متحمسين لفكرته وكان ذلك نوعاً من الصدام المبكر بين النص الشرعي والرأي الجماعي (الذي قد يكون شوري أو الرأي العام بين أهل الحل والعقد) .

وما زلنا نعيش حتي اليوم نعاني من الوقوف المتحدي الذي يقفه أصحاب الرأي سواء كانوا شوري أو صناع رأي عام (مثقفين أو مفكرين أو كتاب أو علماء سلاطين، أو جماعات متشنجة) .

في النهاية توفي الرسول (صلي الله عليه وسلم) قبل انفاذ بعثة أسامة إلي الشام والغيت الفكرة خاصة بعد تفاقم تهديدات المرتدين وانتشار الإرتداد عن الدين في جزيرة العرب وفي نفس الوقت ظهر الخلاف ما بين من قالوا أن هناك نص شرعي من الرسول بأن يتولى علي بن ابي طالب ولاية (قيادة وحكم) المسلمين من بعده.

وقد أصرت أقلية علي وجود ذلك النص بتولية علي للحكم بعد وفاة النبي والأغلبية قالوا أن النص موجود ولكن ليس هذا معناه.

بل أن موالة علي تعني محبته والاعتراف بفضله وجميع المسلمين متفقين علي ذلك فالولاية له قائمة بين المسلمين ولكن ليس بالمعني السياسي الذي يعني تولية الحكم والخلافة.

البعض قالوا أنهم لم يسمعوا بذلك الأمر أي وصية للرسول (صلي الله عليه وسلم) عند عودته من حجة الوداع عند غدير خم عندما خطب أمام مائة ألف مسلم معلنا أن علي يتولى أمر المسلمين من بعده... قائلًا (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعادي من عاده).

فأغلبية المسلمين إتفقوا على أنهم يحبون عليا وتلك هي الموالة وهي تكفي أما اختيار الحاكم فيتترك للشوري، وهذا ما حدث .

وقبل دفن الرسول (صلي الله عليه وسلم) عقد الأنصار مؤتمرًا في سقيفة بني ساعدة. لاختيار خليفة علي المسلمين وحضر الاجتماع عدد من كبار المهاجرين حتى لا ينفرد الأنصار وتوفيت فاطمة الزهراء باختيار واحدا منهم للخلافة. وانتهى الاجتماع باختيار أبوبكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول (صلي الله عليه وسلم) .

اعترض عدد قليل من أنصار علي، مُصَيِّرِينَ علي وجود النص ولكن علي رضي الله عنه رغم أنه لم يبايع الخليفة الجديد على الفور (تأخر 6 أشهر إلى ما بعد وفاة زوجته فاطمة الزهراء ابنة الرسول التي كان وجودها يوفر دعما لموقفه من موضوع الولاية والخلافة) وكان قد قرر تجميد المشكلة وعدم تصعيدها حتي لا تنتهي بحرب أهلية في المدينة المنورة .

كانت أطراف تلك الحرب معلومة بالتقريب، وكانت الأيدي علي مقابض السيوف فأدرك علي أن ذلك يعني نهاية الإسلام وسوف ينقض علي المدينة المنورة المرتدون والرومان ويستأصلون الإسلام في مهده .

فرفض البيعة وتأخر فيها لستة أشهر (لهذا سمي أتباع علي بالرافضة) .

في تشنيع إعلامي يزكي الفتنة ولا يهدئها أو يقترب من حل المشكلة ولكن من المطلوب أن تستمر إلي الأبد علي شكل حروب لا تتوقف لأن الأمة أصبحت عاجزة عن الحوار أو التبصر والبحث عن الحقيقة (فكل قوم بما لديهم فَرِحون) والانحراف تجذر على مر الزمن وأصبح جزءا عضويا من الدين. والفتنة لدى قوى نافذة صارت نمط حياة وصناعة يقوم على مداخيلها حياتهم ومستقبلهم.

يجب أن ندرك أن وصية الرسول (صلي الله عليه وسلم) في اجتماع الغدير وتجاهلها بهذا الشكل بدون مناقشة النص ، وفهم ماغمض من معانيه لدي قوم أشتهروا بالفصاحة وكانت المعجزة المرسله إليهم هو قرآن يتحدى أن يجاريه البلغاء. استعصى عليهم فهم كلمة واحده من بين كلمات لا تحصى في لغة العرب

وهي كلمة الولاية التي أستغلقت على أفهام العرب من يومها إلى هذه اللحظة.. لم يكن الاستعجال محمود العواقب، بل يمكن اعتباره مساعداً علي انتشار حركة الردّة في جزيرة العرب.

ذلك أن الذين حضروا اجتماع غدير خم واستمعوا إلي الخطبة كانوا حوالي مائة ألف فالمسلمون كانوا يدركون أنها قد تكون آخر حجة للرسول (صلي الله عليه وسلم) وقد لا يرونه مرة أخرى فكانوا حريصين علي سماعه والسير معه صوب المدينة المنورة وكأنهم في حالة وداع لنبيهم.

من هؤلاء من فهموا أن الولاية تعني النص على شخص الحاكم. فإذا كان ذلك النص الشرعي لم ينفذ لأن أصحاب الحل والعقد لهم رأي آخر فإن تلك القاعدة تسري علي كل قبيلة خاصة القبائل القوية فتأخذ ما تريد وترفض ما تريد حسب ما تقرره الزعامات وأصحاب الحل والعقد. مادام الرأي قد أصبح أقوى من النص الشرعي. وهكذا فهموا ما حدث من انتخاب في المدينة. وقد يكون فهما خاطئاً ولكن الظروف لم تسمح بالوقت الكافي للنقاش على مستوى جزيرة العرب ولا حتى داخل المدينة نفسها التي حدث فيها نزاع كان يخشى منه وما زلت آثاره لم تتوقف. وتأثيراته حاضرة بشدة في حرب إسرائيل على الإسلام والعرب في فلسطين ولبنان ومصر وسوريا وليبيا والسودن والعراق وإيران.

كما قررت بعض القبائل العربية لعد اختيار خليفة في المدينة المنورة أن تتوقف عن دفع الزكاة بعد وفاة الرسول (صلي الله عليه وسلم) حيث اعتبروها مرتبطة بشخص النبي (صلي الله عليه وسلم) ورغم أن الزكاة في القرآن مرتبطة بالصلاة إلا أن الصلاة صلة بين العبد وربّه بلا واسطة بشرية حتي من النبي نفسه.

أما الزكاة فهي أموال تدفع للنبي مباشرة لهذا ظنوها أمراً بشرياً مقيداً بشخص الرسول (صلي الله عليه وسلم).

والذين فهموا أن الولاية تعني المودة والصدقة والمحبة وفهموا أيضاً أن قول خالد ابن الوليد لجنوده في حربه ضد المرتدين ضد قبيلة مالك بن نويرة حين قال لجنوده أدفئوا أسراكم فقتلوهم جميعاً. وقالوا أن ذلك الاصطلاح (أدفئوا أسراكم) يعني عند تلك القبيلة اقتلوا أسراكم وهذا ما فعله جنود خالد .

رغم أن القبيلة لم تكن قد ثبت ارتدادها عن الإسلام حتي ذلك الوقت أي أن الذين قُتلوا قد يكونوا مسلمين.

لم يكن هذا فقط ولكن خالد ابن الوليد (رضي الله عنه) مضى شوطاً أبعد حين تزوج فوراً (ليلى) زوجة مالك بن نويرة زعيم القبيلة وكانت مشهورة بالجمال بين العرب. ولم يكن ذلك تصرفاً شرعياً بأي حال إذ كان عليه أن ينتظر إنقضاء عدتها ولكن خالد دافع عن نفسه أمام أمير المؤمنين أبوبكر الصديق.

فقال أنه عقد قرانه في تلك الليلة ولكنه أجل البناء إلي ما بعد انقضاء العدة. لم يكن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) موافقاً علي شيء من ذلك بل طالب ابوبكر بأن يعزل خالد ويحاكمه علي تلك التجاوزات وأن يقيم عليه الحد.

ولكن أبوبكر قال أن خالد هو سيف الله المسلول وأنه لن يغمد سيفاً سله الله علي أعدائه؟ وعندما تولى عمر (رضي الله عنه) الخلافة بعد ابوبكر عزل خالد من قيادة الجيوش وكان في قمة تألقه العسكري وأمجاده وانتصاراته في العراق والشام ضد الفرس والروم. ولم يتهمه بأي جريمة لأنه لم يثبت شيء ولم تعقد من أجلها أي محاكمة لخالد. ولكن عمر قال أنه يخشي علي المسلمين أن يفتنوا بخالد ويعتقدوا أن النصر يأتي من عنده.

أما قادة قبائل المرتدين في باقي أنحاء الجزيرة فقد علموا بما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفسروه بالمنطق القبلي الذي ألفوه لمئات السنين كما ألفنا نحن تفسيرات الفتنة الطائفية للأحداث.

فسّر قادة القبائل المرتدة أن إختيار ابوبكر الصديق خليفة للمسلمين يعني عودة قريش للسيادة علي جميع العرب من منطق أن لديها نبي، وأن قريش هم الخلفاء من بعده عبر الشوري فيما بين كبرائها.

كان من طبعي على هؤلاء المتخلفين العرب أن يروا الأمر هكذا: فلنُخرج من عندنا نبي ننبُعه ونقاتل تحت رايته وننشر دينه ونحكم باقي العرب.

فظنوا أن ذلك هو ما حدث في مكة والمدينة وأن قصة الإسلام صراع علي الملك هذه النظرة المرتدة كان هي الفلسفة وراء حركة الردة في القديم بعد وفاة الرسول وبداية حكم أبوبكر الصديق.

وهي حركة الردة الذي قادها يزيد ابن معاوية ابن ابي سفيان وهو أول ملوك الهرقلية الإسلامية التي أقامها والده معاوية ابن ابي سفيان رضى الله عنه.

هذا المبدأ اليزيدي هو الخطوة الثالثة الذي سنتكلم عنها في موضعه .

قلنا أن الخطوة الأولى هي كانت إنتصار مبدأ الشوري علي مبدأ النص الشرعي في تولية الحاكم وقد وافق المسلمون على ذلك واتبعوه بإرتياح .

ولكن بعضهم كان كان شديد الفرح به خاصة قبائل قريش وعتقاء فتح مكة الذين عفي عنهم الرسول (صلي) وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ولم يمسهم بضرر. بل أكرمهم والتحق الكثير منهم بالإسلام . فأسماهم المسلمون أحياناً (بمسلمة الفتح) أو (الطلقاء) والكثير منهم إنتقل للمعيشة إلي جوار الرسول (صلي الله عليه وسلم) وهؤلاء كانوا أشد المرحبين بإلغاء قانون النص الشرعي الذي كان يحدد أسماء أثنا عشر أماما ليحكموا المسلمين بعد وفاة الرسول حسب الأحاديث المتوفرة لدي الشيعة الجعفرية الإثني عشرية.

معني ذلك أنه بعد مرور أثنا عشر أماما، ربما يأتي الدور علي قريش التي قد يسعدها الحظ بتولي أمر إمامة المسلمين .

كان ذلك وقتاً طويلاً لا يطيقونه وقد تتغير أشياء كثيرة تحول بينهم وبين ما يتمنونه من شهوة الحكم .

فكانوا أشد المؤيدين لمبدأ الشوري وكذلك كانوا أول المنقلبين عليه وشاركوا في كافة الفتن التي ظهرت في عهد عثمان، ثم علي رضي الله عنهما وأدت إلي مقتلهما .

وورث علي بن طالب تلك المشاكل جميعا عندما وصل لمنصب الخلافة طبقا لمبدأ الشوري وليس بالوصية النبوية. وجد أن طلقاء الفتح يدبرون ويشاركون في كافة المؤامرات ضده ويعملون علي تسعيرها.(راجع موضوع الدولة العميقة في الإسلام ضمن كتيبات التاريخ لايفيد).

وكان يطمعون بأن يتمكنوا أن يصنعوا خليفة من طرفهم متخطين مبدأ الشوري فدعموا بني أمية ومرشحيهم وتيارهم السياسي حتي يصلوا إلى الحكم بالتعيين الوراثي (نظام الحكم الهرقلي الروماني) وليس بالشوري . وتتابع خطوات الانحراف على النحو التالي:

الإنحراف الأول . مبدأ أبو سفيان (تلقفوها بني أمية)

وكان خير من لخص تلك القفزة، هو أبوسفیان بن حرب الذي قال بشأن الخلافة (تلقفوها يا بني أمية كما تلقف الكرة) أنه إختطاف للسلطة وليس الشوري. فقد سبق أن تخطت الشورى النص الشرعي (سهوا) لصالح الشوري ، وجاء الوقت لتخطى الشورى واختطاف "الخلافة" كما تختطف الكرة عمدا، وليس سهوا هذه المرة.

وهكذا انتهت الخلافة الراشدة بعد علي بن أبي طالب، قضى عليها ذلك الشعار الأموي الذي أطلقت أبوسفیان بن حرب بأن المسألة صراع علي السلطة والفوز لمن يتلقفها كما تلقف الكرة (بلا شوري بين المسلمين)؟

الحكم يتحول من تنافس كروى إلى هرقلية وراثية

وقد فاز بها بالفعل ابنه معاوية ابن ابي سفيان (رضي الله عنه) أحد العشرة المبشرين بالجنة الذي قرر تعيين ولي العهد من بعده أبنة الأكبر يزيد المشهور بالفساد والفسق.

وقال أحد الصحابة عن النظام الوراثي: إنها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل. تولي يزيد ابن معاوية بن ابي سفيان امارة المؤمنين بتعين من والده معاوية بغير شوري من المسلمين أو نص شرعي من الرسول علي توليته أو تولية والده رضى الله عنه.

مبادئ يزيد في الحكم: 1- للإسلام 2- الإنتقام من آل أحمد (آل البيت النبي)

أول ما غيره يزيد، كان قانون جدة أبو سفيان الخاص بتلقف الحكم بلا شوري فصاغ يزيد قانونه الجديد في الحكم في أبياته الشهيرة التي ذكرناها في هذا الكتاب والتي جاء فيها (لعبت هاشم بالملك - فلا وحي جاء ولا خبر نزل . فلا أنا من خنيف إن لم أنتقم - من آل أحمد ما كان فعل).

فهو في هذه الأبيات يتفق مع وجه نظر المرتدين القائلة أن المسألة ليست مسألة دين بل مسألة حكم وأن الدين وسيلة للفوز بالحكم.

وأنه للوصول إلي الحكم لابد من اختراع نبي ودين غير الإسلام (دين قريش) يكون خاصا بالقبيلة نفسها .

نقطة أخرى ركز عليها يزيد واستمرت من بعده حتي اليوم وهي قوله أن الأمر بالنسبة له هو انتقام من آل أحمد، و آل الرسول هم ذرية علي بن ابي طالب أو الطالبيين كما أطلق عليهم في العهدين الأموي والعباسي من ضمن أسماء كثيرة أصبحت الآن "الشيعة" واستخدمت ألفاظ أخرى في أواخر الدولة العباسية مثل اصطلاح الباطنية والإسماعلية و فرق كثيرة نسبت إلي الشيعة وأنشقت عنها .

كما حدث نفس الشئ عند السنة أيضا في مجموعات أنشقت وسارت في مسارات ابتعدت كثيرا عن الأصول.

المهم أن المبدأ اليزيدي هو المتحكم في أيامنا هذه بشكل شبه كامل حتي قال بعض أتباعه وأنصاره من التيار (الماسوني الإسلامي) واصفين أمام زمانهم محمد بن سلمان (منشار الدين) بأنه يزيد العصر فصدقوا وهم الكاذبون .

أنه بالفعل يزيد العصر بكل السمات اليزيدية المعروفة كما أن قانون أبو سفيان مازال سارياً وهو الصراع علي الحكم وتلقفه كما الكرة حتي صار الخليفة نفسه كرة قدم بين القوى الخارجية. كان ألعبوبة في يد المحيطين به من العبيد والجواري والغلمان .

أما في عصرنا الحاضر فلا يحتاج الأمر إلي ضرب الأمثلة فلا يوجد مواطن عربي أو مسلم لا يعرف الكثير من الأمثلة التي يعتبر فيها حكام المسلمين والعرب كرات تلعب بها الدول الغربية واليهود .

وان الصراع علي الحكم والاستقواء بالقوة الخارجية هو الطريقة الوحيدة للوصول إلي الحكم فلا شوري ولا نص شرعي ولا شريعة ولا إسلام .

وهو مبدأ يزيد القائل (فلا أمر جاء ولا وحي نزل).

وتطبيقاً لمبدأ يزيد: (فلا أنا من خفيف إن لم أنقم.. من ال أحمد ما كان فعل) وهذا ظاهر في اضطهاد من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بأي صورة كانت فيوصفون اما بالمخربين أو بالخوارج أو بالمتطرفين أو بالشيعة عملاء إيران حتي الفلسطينيين تطلق عليهم نفس الألفاظ وأشد .

انها نفس الانشقاقات الأولى التي بدأت وكأنها بسيطة يمكن التجاوز عنها أو التعايش معها وصلت إلي القضاء علي الأمة كوحدة إيمانية وسياسية وتوشك أن تقضي علي الدين نفسه إذ حولته إلى مجرد طقوس شكلية لا أثر لها في الحياة. ومفاهيم يفرضه اليهود والماسونية الإسلامية الجديدة.

فلا صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر هذا إذا صلوا أصلاً. ولا صيامهم يزيدهم صبراً أو إيماناً هذا إذا صاموا. ولا الحج يوحدهم أو يشهدوا فيه منافع لهم غير الاتجار في العطور والمسابع وسجادات الصلاة .

فيحظر عليهم اليزيديون حكام المملكة التباحث في شؤون المسلمين أو الدعاء لهم بالنصر ويحظر رفع أعلام فلسطين، بينما يباح رفع شعارات الهندوسية في الأماكن المقدسة .

ولكن الماسونية الإسلامية تري أن كل شيء مباح ليزيد العصر مانحين إياه وسام "أهل السنة والجماعة" على اعتبار ان ذلك الوسام يعني الإعفاء من تطبيق شرائع الدين بلا أي اعتراض. وتلك هي النظرة الطائفية للدين. حيث أصبحت الطائفة هي الحاكمة على الدين والبديل عن تطبيقه.

لا حل لأزمة الحكم في بلاد المسلمين سوى بالعودة إلى الشورى الحقيقية . وتعين الحاكم بالاختيار الحر للمسلمين وتحديد واجباته بدقة علي نهج الرسول(صلي الله عليه وسلم) في إدارة الشؤون الدنيوية والدينية تحت رقابة المسلمين مع إمكانية محاسبته علناً وعلي رؤوس الاشهاد في المساجد بحضور الخليفة نفسه كما حدث مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

وحتي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال للمسلمين في خطبته الأولى (وليت عليكم ولست بخيركم) وطلب منهم أن يعينوه إذا كان علي صواب وان يقوموه إذا كان علي خطأ .

وصلت الشوري في الصدر الأول في الإسلام ان يقوم أحد المسلمين قائلاً للخليفة : لو رأينا منك اعوجاجاً لقومناه بسيفنا .

فكان رد الخليفة أن حمدلله على أنه يوجد في المسلمين من يقوم اعوجاجه بسيفه الي هذه الدرجة كان المسلم قويا بوعيه وإيمانه وقويا بخضوع الخليفة للشرع وقبول حكمه مهما كان .

الشورى اختيار إسلامي واحد للسنة والشريعة:

إلي هذه الدرجة نريد أن نصل بالشورى وإلي هذه النتيجة وصل السنة والشريعة معا في أفغانستان السنية وإيران الشيعية .

وكلاهما أقر مبدأ الشورى في اختيار الحاكم ومراقبته وتحديد صلاحيات الحاكم ومسئوليته الشرعية .

أعترف الشيعة بأنه في حالة غياب الإمام الذي عليه النص الشرعي (الأمام المتبقي هو المهدي المنتظر) وترتيبه الثاني عشر وهو الأخير من الأئمة ولا خلاف علي أحقيته بإمامة المسلمين. ويجمع علي ذلك السنة والشيعة معا. تطبق إيران مبدأ الشورى علي مستويين .

مستوي الأول هو اختيار أعضاء البرلمان بالتصويت العام الإنتخابي والثاني اختيار الولي الفقيه المؤهل للقيادة علي المستوي الديني والسياسي معا ويتم اختياره بواسطة كبار العلماء والمراجع الدينية طبقا لمواصفات خاصة ينبغي أن تتوفر فيه .

ولكن المستوي السياسي يتولى تطبيقه رئيس الجمهورية الذي يتم اختياره بالاقتراع العام .

وفي أفغانستان يحظى اختيار أعضاء الشورى بأهمية بالغة بالنسبة إلي خصائص المجتمع الأفغاني الذي خاض حروبا جهادية طويلة استمرت منذ منتصف قرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين من أقوي إمبراطوريات في العالم وقامت القبائل بالعبء كله وقدمت ملايين الضحايا وخسائر من الأموال والممتلكات يصعب حصرها .

لهذا فإن رؤساء القبائل يعتبرون من أعمدة الشورى، خاصة هؤلاء الذين كانوا مخلصين لقضايا الجهاد والوطن. والقبيلة وحدة أساسية للمجتمع الأفغاني وتحمل القبيلة معظم وظائف الدولة خاصة الدفاع والأمن والتكافل الاجتماعي فمن الطبيعي أن تكون القبيلة لها دور كبير في اختيار الحاكم عن طريق الشورى وكذلك القادة العسكريين المجاهدين الذين قادوا المعارك الطاحنة ضد العدو .

وهناك الطبقات الاجتماعية التي تحملت تكاليف الجهاد مثل أهالي الشهداء وعائلاتهم والمزارعين الذين فقدوا أراضيهم وقراهم بفعل القصف والحروب وتحولوا إلي فقراء معدومين ويرون في الحكم الإسلامي طوق النجاة لهم في الدنيا والآخرة. وهم بطبيعتهم متدينون ومجاهدون ويمتلكون وعي سياسي متقدم. تلك الفئة لها دور كبير في إدارة الدولة في عهد الإمارة الإسلامية الحالي فهم يشكلون القاعدة الاجتماعية في حركة طالبان .

وهم القوة القتالية الجاهزة في أي وقت لحمل السلاح ودفع كافة التكاليف .

أما أمير المؤمنين وهو المنصب الأعلى في الدولة فصفاته في مثل هذا المجتمع معروفة ومحددة ولا خلاف عليها .

وحتى الآن تولي ثلاثة من القادة الإمارة الإسلامية وكلهم من المشهود لهم بالعلم والتدين والجهاد والإخلاص والسيرة الحسنة .

لهذا لا تعاني أفغانستان أي مشكلة في اختيار حاكمها عن طريق الشورى فأعضاء الشورى معروفون بقبائلهم وتاريخهم وجهادهم وغيرتهم على الدين وكذلك المرشحون للحكم في منصب أمير المؤمنين .

توصل الأفغان بالتالي إلي حل عملي لمشكلة الحكم.
وعلي كل مجتمع أن يجد طريقة الخاص المناسب لتاريخه لاختيار الحاكم طبقاً لمبدأ (حتمية الشوري)
في تعيين الحاكم المسلم .
هي النتيجة التي توصل اليها الشعبان في إيران (الشيعة) وفي أفغانستان (السنية) وكلاهما خاضا حروباً
طويلة لعشرات السنين حتي توصلوا إلي تلك النتيجة.
وما زال كلاهما يواجه ضغوطاً عنيفة من إسرائيل والولايات المتحدة ومعسكر الماسونية الإسلامية الذي
يضم عرب وغير عرب .
ولكن كلا الشعبين متمرس في الجهاد وتعود علي الصبر والتضحية لعشرات السنين لهذا يخوض معاركه
حتي الآن بنجاح رغم عظمة التضحيات والتكاليف.
انتهى ...

نشر في تاريخ 2024/10/09

موقع مافا السياسي

WWW.MAFA.WORLD